الوجودية في شعر الماغوط

الدكتور حميد رضا مشايخي

Mashayekhih@umz.ac.ir

استاذ مشارك، قسم الأدب العربي ،كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية ، جامعة مازندران، ايران

سلامه حاكم جاسم الصافي

ssu119039@gmail.com

طالبة دكتوراه، قسم الأدب العربي ، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة مازندران، ايران

Existentialism in the poetry of Al-Maghout.

Dr. Hamid Reza Mashaikhi

,Assistant Professor, Department of Arabic Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages , University of Mazandaran , Iran

Salama Hakim Jassim Al-Safi

PhD student, Department of Arabic Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, University of Mazadara, Iran

المستخلص

من خلال التعرف على الوجودية كأسلوب ، والأثر الذي فرضته على النواحي الأدبية المختلفة، حيث وجدوا فيها ملاذاً من الصور والتشبيهات والبلاغات ، فتحدثوا عن قضايا العصر التي تشغل بال الإنسان ، وتقضّ مضجعه، بحثاً عن حرية الفرد وتحقيق هدفه في الحياة الكريمة ، عبر رسم واقعٍ مريرٍ ، وتحديد أساليب التغيير والواقع الصعب ، الذي يعيشه كل إنسان في مكانه ، بكل ما يحتويه من تفاصيل تتعلق بحياته ، عبر مسكنه ومأكله وملبسه، ومراحل حياته الطفولة ، والشبابية حتى آخر عمره، وعبر حياة الآخرين والقضايا الاجتماعية التي تفرض وجودها ، على ثقافته وأفكاره ورؤاه ، فكانت الوجودية خير مكان للتعبير عن حقيقة الحياة التي يعيشها الأديب.

ففي الوجودية رسم للواقع ، وإشارة إلى أهداف واضحة تمس الإنسان ، وتعبر عن همومه, هذه القضايا المتمثلة بالجوع، والظلم، والكبت، والقهر، والاستعباد، والاستغلال، التي ظهرت وتفاقمت إبان الحروب العالمية التي خرج منها الجميع , وقد خسروا الكثير, وللكشف عن ملامح الوجودية في الأدب العربي ، و كيف يوظف الشاعر أحاسيسه وجمله الشعرية في رسم هذا الواقع ، وتصوير معاناته حوله عبر مواضيع قصائده ومضمونها ، اخترنا شاعرنا الماغوط الذي ذاع صيته في المسرح ، لنبحث عن الوجودية أيضاً في شعره.

والشاعر الماغوط في أشعاره كافة ، لم يتخلّ عن الحديث عن ذاته الإنسانية ، حيث رفض الواقع المرير الذي يعيشه ، والسعي إلى توصيف الواقع ، ثم التغلب عليه بدءاً من غرفته التي عاش فيها حياته ، ونافذته التي أطلّ منها على كل ما يجري في شوارع مدينته وحياة أهلها, فكانت الوجودية سمة أشعار الماغوط في كل ما قدمه ، من مواضيع ، ومن صورٍ وأخبارٍ وتقارير عن أحوال الناس ، وأحواله الشخصية التي فرضت نفسها على الشاعر عبر وجودها حوله وأمام عينيه.

الكلمات المفتاحية: الوجود ، الوجودية , الماغوط.

Abstract

Existentialism is a drawing of pure reality and a reference to clear goals that affect a person and express his concerns, whichh appeared and worsened during the world wars from whichh everyone emerged having lost a lot, and to reveal the features of existentialism In Arabic literature and how the poet and writer become In harmony with his reality and employ his feelings and poetic sentences in drawing this. Reality and portraying his suffering around it through the topics and content of his poems. The aim of the research was to study the poetry of Al-Maghout, whose influence became widespread In theatre. We should also search for existentialism in his poetry, and we arrived at a set of results. In Al-Maghout's topics, all of them are purely existential. He raises daily Issues that he and his society live at the same time. Pessimism, depression, and sadness are a feature that almost never separates from Al-Maghout's verses In his various topics, and this Is not related to existentialism only, but optimism Is present In it, but Al-Maghout is a person who loved sadness and told the reader that he Is an old friend of his. The poet did not pay attention to other topics that might attract the poet's attention In nature, the universe, or the world of Imagination, but rather In all his forms, he was realistic, drawing from his reality what he wanted. Al-Maghout's sense of what was happening around him was completely clear. With his sensitivity, he extracted the concerns of people at their various levels and wrote them down in his verses after he had the abilIty to live with them and feel them. Al-Maghout emerged existentially In his Isolation and the tragic tone that ran through his verses, as well as In hIs alienation and self-harmony, and his taking of the free human being as a way to live as he pleases and choose what suits him and suits his Inner desire and feeling In search of his self-security and escape from the reality he lives In.

Keywords: Existence, Existentialism, Al-Maghout, Poetry, Thought

١- مقدمة:

المنحى الوجودي ليس جديداً في الفكر الأدبي ، فله استقصاءاته العالمية القديمة منذ عهود الفلاسفة الأوائل ، كأرسطو وأفلاطون[١] ، وحتى عصورنا اللاحقة، ولكن المشهد الوجودي في عالمنا العربي تكرّس بشكلٍ واضح بعد الحربين العالمية الأولى والثانية وما حملته الحربين من هزات وانقلابات على المستوى الفكري , وأثره على التفكير الإنساني، لا سيما في بلاد تعرضت للحروب ومآسي تلك الحروب، فمال الإنسان العربي إلى الانعتاق من المفهومات السائدة ، وظهر الميل لشرح الوجود، وفهم الكون والحياة والإنسان .

اذ ظهرت أسئلة خاصة بالفرد عن وجوده وسبب وجوده، وما الجدوى من استمرارية وجوده، وإلى أين يمضي، فمال إلى الحرية، وتخلّص مما تكدّس في ذاكرته من مفاهيم، ومعطيات، ونتائج عصور سلفت، فعمد إلى تغيير آليات التفكير لديه وبكل شيء، فأظهر الخلل الذي كان سائداً فيما مضى ، ولكن في العصور الحديثة ، شكلت هذه القضايا أبرز معالم الوجودية.

والشعر بوصفه جنساً أدبياً لا يمكن أن ينفصل عن غيره من الأجناس ، و لا ينفصل عن المحيط وعن المؤثرات الحافة به، لنجد أن النص الحافل بالشعرية، المستند إلى الوجودية ، المستثمر في مكوناتها ينحى منحى الالتزام بقضايا تهم الفرد بذاته الإنسانية، بما يشغل باله ويقلقه من قضايا معاصرة ، يسعى الشاعر إلى توظيفها في شعره , ورسم صورها وتفاصيلها بمفرداته الشعرية، ليصبح الشاعر خالقاً لا مجترّاً، مبدعاً لا صانعاً، يخلق عالماً من الوجود قائماً بذاته، ولا يشير إلا إليه، فتظهر نزعته الإنسانية، متجاوزة الانغلاق من خلال تحقق الذات الإنسانية في الوجود ، معبراً عن وجوده، وعن إحساسه بمن حوله.

– فما هي سمات الوجودية ؟ وكيف تجلّت ملامحها في شعر الماغوط؟ هذا ما سنجيب عنه في الفقرات الآتية من خلال اتباع المنهج التحليلي الوصفي.

٢– الدراسات السابقة:

١– دراسة بعنوان (الوجودية وأثرها على الأدب العربي)، مقال إلكتروني سهيلة زيدان، ٢٠١٦م:

بحثت الكاتبة في هذا المقال عن الوجودية وأثرها في الأدب ، بوصفها تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ، ويؤكد تفرده، وظهورها كردة فعل على تسلط الكنيسة ، وتحكمها في الإنسان ، وتأثرها بالعلمانية ، وغيرها من حركات التحرر في النهضة الأوروبية و العالمية.

وهنا وإن كان مجال دراستنا مشترك ، وهو البحث في الوجودية الأدبي ، حيث اخترنا احد الأدباء العرب و هو محمد الماغوط ، وسنبحث عن القضايا الوجودية التي سنلمحها في أعماله الأدبية المختلفة.

٢– دراسة بعنوان (المنحى الوجودي في الشعر الجاهلي) صراع القيم وحب البقاء، فاطمة السويدي، د.ت:

تبحث الدراسة في وجودية الشاعر الجاهلي , وتنطلق من بعده عن فكرة نقض الألوهية ، أو وجودها فقد كان لهم آلهتهم ، ولكنهم عاصروا بأشعارهم حياتهم اليومية ، عبر اتخاذ قراراتهم في الرحلة والتجارة والمصاهرة والغزو، فقد عاشوا الحرية الإنسانية بالتجربة، لتنتهي الدراسة إلى إبراز حيوية تجربة فلسفة الوجود عند الشاعر الجاهلي، ومواءمته بين تجربة الذات وتجربة الجماعة.

٣- دراسة بعنوان (الحس الوجودي في ديوان الشاعر موسى حوامدة)، مجلة المخبر، عبد الرحيم مراشدة، ٢٠١٣م:

يبحث الدارس في ملامح الوجودية في أشعار الشاعر المذكور نظراً لتشكيله تجربة مختلفة على مستوى الشعر الجزائري بعد الحرب العالمية الثانية , وإعادة التفكير في الإنسان، وانخراط العالم العربي بالتبعية إلى طرفي النزاع , وما تبعه من موجات الحداثة ،التي أدت إلى التلاقح الثقافي ،بين العالمين العربي و الغربي . ا

في الدراسات المذكورة سابقاً ، نجد أنّها تشابه مجال بحثنا عن الوجودية في قضايا معينة، ولكننا نختلف عنها في هدف بحثنا ، وهو إظهار معالم الوجودية في شعر الأديب محمد الماغوط ، حيث لم نعثر على دراسة أكاديمية تبحث في هذا العنوان.

٣- المفاهيم المتعلقة بالوجودية:

- الوجودية:

المدرسة الوجودية مدرسة تتناول البحث عند الإنسان وأصالته, وتؤكد على تقدم الوجود على الجوهر وترى أن جميع الأشياء مسخرة لإرادة الإنسان, هي المدرسة الفلسفية التي تتخذ من الإنسان موضوعاً وحيداً لها، فعلاً وتفكيراً، بوصفه فرداً حياً.[٢]

الوجودية ليست فلسفةً , وإنما أسلوبٌ فلسفيٌّ تؤدي بمن يستعملها إلى مجموعة من الآراء ، التي تختلف فيما بينها أشد ما يكون الاختلاف، حول العالم وحياة الإنسان، تبدأ من الإنسان لا من الطبيعة، فهي فلسفة الذات الإنسانية ، أكثر من فلسفة الموضوع، فالذات عند الفيلسوف الوجودي هي الموجود في نطاق تواجده الكامل ، فهو ليس ذاتاً مفكرة فحسب، وإنما هو الذات التي تأخذ المبادرة في الفعل ، وتكون مركزاً للشعور والوجدان.[٣]

يميل الفيلسوف الوجودي ، إلى إهمال مشاكل المنطق ونظريات المعرفة باستخفاف أكثر مما ينبغي , وأنه كان يفاخر بأنه صرف النظر عنها ، لأنها مجرد موضوعات (أكاديمية) بحتة، رغم أن الوجوديين ركزوا انتباههم على مشكلات ، تبدو مرتبطة على نحو مباشر بالوجود البشري العيني ، بدلاً من المشكلات النظرية أو المجردة،.[٤]

بعض الوجوديين متفائلون وبعضهم متشائمون ، رغم أنهم جميعاً يدركون العناصر المأساوية في الحياة البشرية ، فحرية الإنسان ، وسعيه لبلوغ وجود شخصي أصيل يلقى مقاومة، قد ينتهي فيها بالإحباط.[٥]

ولعل من أهم الموضوعات التي اهتم بها الوجوديون ، هي الحياة العاطفية للإنسان، وهو موضوع أهمله فلاسفة المذاهب الأخرى، أو أسلموه لعلم النفس، فالفلسفة العقلانية المسيطرة على أنماط التفكير ، تعد العواطف المتقلبة، والأمزجة والمشاعر ، التي تظهر في الذهن البشري، شيئاً لا يناسب مهام الفيلسوف ، غير أن الوجوديون يعدونها أحد أهم أسباب الاندماج بعالمهم ، وتتيح لهم التعلم عنها. [٦]

إن التمييز بين الوجود والماهية , من أقدم المسائل التي درستها الفلسفة, فالوجود يتسم بالعينية والجزئية, فما أن نتحدث عن (الشكل الذي توجد عليه) ، حتى نكون قد بدأنا بالفعل في الانتقال من الوجود إلى الماهية, وإذا كان وجود الشيء مرتبط بواقعه أي (موجود) ، فإن ماهيته تعتمد على واقعة (ماهو ؟) ،فماهية موضوع ما تتألف من تلك السمات الأساسية ، التي تجعله موضوعاً بعينه.[٧]

- البنى الأساسية للوجودية:

هناك ثلاث خصائص ، تستحق أن يُسلط الضوء عليها في هذا الخصوص:

١- الوجود في معناه الذي يدل على الظهور: يناسب ذلك النوع من الوجود المتمثل في الإنسان، أكثر مما تناسب أي نوع آخر من الوجود, فوجود الإنسان له معنى أبعد

من وجود الأشياء الأخرى, بما يملكه من وعي, وما يتعلق به من سعيه المستمر , للوصول إلى مراحل جديدة, والطبيعة التي يمتلكها.

٢- الخاصية الثانية: هي تفرد الوجود البشري : فهو ليس شيء غير عاقل ، بل هو الموجود الذي يقول (أنا), وهي ليست مجرد تحصيل حاصل, وإنما هي تأكيد للوجود الفردي .

٣- الارتباط بالذات: فالإنسان يملك الإمكانية أن يصبح واحداً مع ذاته, وأن يحقق هذه الذات, أو أن ينقسم على نفسه فينفصل عن ذاته, فهو إما أن يمسك بزمام وجوده ، أو يتركه ينزلق, فيكشف عن الوجود الحقيقي أو المزيف.(٨)

- خصائص الوجودية:

من ملامح الوجودية نجد: العزلة, النبرة المأساوية, الاغتراب, فضفضة لما يجول في الخاطر, وكذلك من حيث أنها نظرة فلسفية نجدها تحمل سمة التوجيه, سمة التساؤل, وفيها يظهر الأديب مظهر الإنسان الحر, صاحب القرار, صاحب الإرادة, ذو كيان مستقل, يحيا حياته بطريقته, يختار لنفسه ما يراه مناسباً, يدرك أن الموت قادم ويستعد له, يعيش متمرداً على ما يجري في عصره, يتخذ القرارات الصعبة ولا يبالي, يقوم بفعل ما يحب وقت ما يشاء ، وكيفما يشاء, يحاول صناعة محيطه على ما يهواه ويحبه.(٩)

٤- التعريف بالشاعر محمد الماغوط:

الماغوط : واسمه الكامل محمد أحمد عيسى الماغوط ، من مواليد مدينة حماة السورية ، منطقة السلمية، ولد عام ١٩٣٤م، من عائلة فقيرة ، أبوه فلاح بسيط ، عمل أجيراً في حياته كلها، بدأ الماغوط تعليمه في السلميّة، لكنَّه ترك المدرسة بسبب فقره في سن مبكر، ومنها إلى الشام ، ثم بيروت، احترف الأدب السياسي الساخر، قضى في

السجن بعض عمره ، لأسباب تتعلق بالحياة الحزبية والسياسية ، وفي أيام الوحدة بين سورية ومصر، هرب إلى بيروت ، وانضم إلى جماعة مجلة شعر ، ومن أدباءها: يوسف الخال وأدونيس، كما نشأت بينه وبين السياب علاقة صداقة حميمة ، وفي بيت أدونيس تعرف على سنية صالح ، التي تزوجها. في السبعينات عمل رئيساً لتحرير مجلة الشرطة، برع في الكتابة المسرحية ، زار البلاد العربية الخليجية منها ، وعمل فيها بمهنته ، وفي ظهيرة الثالث من نيسان عام ، ٢٠٠٦ رحل عن الدنيا وعمره ٧٣ عاماً ، في منزله بمدينة دمشق ، وله العديد من المؤلفات الأدبية في المسرح ، والشعر والسينما والمسلسلات التلفزيونية.

تتركز أعمال الماغوط الشعرية في أعماله الثلاثة:

١- ديوان بعنوان حزن في ضوء القمر.

٢- ديوان بعنوان غرفة بملايين الجدران.

٣- ديوان بعنوان الفرح ليس مهنتي.

٥- خصائص الوجودية في أشعار الماغوط:

انطلاقاً من عناوين الدواوين الشعرية للماغوط ، والتي اختار لها (حزن في ضوء القمر, غرفة بملايين الجدران – الفرح ليس مهنتي) ، فإننا نلمح فيها صفة الوجودية بارزة بوضوح ، فحزنه في ضوء القمر ، حالةٌ يرسمها الشاعر لذاته ، في أحد لياليه المقمرة، والعنوان الآخر (غرفة بملايين الجدران) : هو أيضاً عن حالة الوحدة ، التي يعيشها هذا الإنسان بذاته الشاعرة، والعنوان الآخر (الفرح ليس مهنتي) : يعلن عن حياته السوداوية والحزن المصاحب له، في كل أيامه وأمكنته التي يعيشها.

وبالغوص في دواوينه الثلاثة ، يمكننا أن نجد تجلٍّ واضح لخصائص الوجودية في شعره ، وفيما يلي نبين تلك الخصائص ، وكيفية تجليها في شعره.

٥-١- العزلة:

وفيها يعيش الشاعر الوجودي حياته وحيداً ، فلا نجده ينخرط في مجتمعه مثل باقي الناس، رغم أنه محاط بمجتمعٍ متعدد الثقافات والأهواء ، ولكنه يبقى في عزلته التي لا يرتاح إلا بها ، وشاعرنا الماغوط أحد أولئك الذين يميلون إلى هذه العزلة ، عبر حياته في غرفته ، التي لا يكاد يبرحها إلا في سفر أ وهجرة.

من ديوان (حزن في ضوء القمر) نجده يقول:

وَأَنَا رَاقِدٌ فِيْ غُرْفَتِي

أَكْتُبُ وَأَحْلُمُ وَأَرْنُو إِلَى المَارَّةِ

مِنْ قَلْبِ السَّمَاءِ العَالِيَة

أَسْمَعُ وَجِيْبَ لَحْمِكِ الْعَارِيْ

عُشْرُون عَامًا وَنَحْنُ نَذُقُّ أَبْوَابَكِ الصَّلْدَةَ

وَالْمَطَرُ يَتَسَاقَطُ عَلَى ثِيَابِنَا وَأَطْفَالِنَا

وَوَجُوهُنَا الْمُخْتَنِقَةْ بِالسُّعَالِ الجَارِحِ(١٠)

فهو حيث يسكن ويعيش في مدينته دمشق ، يرسم حالته فيها وحالة أهلها ،من غرفته التي يعيش فيها ، فيقول منادياً إياها بعربة السبايا ، فهو ناقمٌ على وضع المرأة العربية ، ويدعو إلى تحريرها من قيود التقاليد البالية، معترفاً أنه لم يغادر الغرفة ، بل مستلقٍ فيها يحلم وينظر من نافذته إلى المارة في الشوارع، وكأنّه بين الغيوم في السماء ، يستمع صوت الضحايا والمعنّفات، هو يطالب ويعرض ما يريد منذ عشرين عاماً ، يشهد على ذلك المطر الذي بلّل ثيابه ، وهو ما يزال طفلاً ، وأيام مرضه ، إذ الوجوه تعبة و حزينة ، كأنّها تودّع الحياة بعد إصابتها بمرض السل.

وهنا في رسم واقع المدينة التي يسكنها الماغوط ، نجده يتحدث عن معيشته هو بالدرجة الأولى ، إذ يقطن في غرفته ، ونافذته تطل على شوارع دمشق، ثم يعيد إلى الأذهان صورة الطفولة التي عاشها، من مرضٍ وسعالٍ حارق.

في كل هذه الصور ، نجد أن عين الشاعر هي التي تتحدّث فترسم صورةً موجودةً أمامها، لا مكان للخيال أو التخيل أو الأخبار ، أو السمع من ألسن الناس ، فالشاعر معترفٌ بأنه ينظر كل هذه المشاهد ، من نافذة شباكه ، وهذا من أهم ما يميز الوجوديين، أنّهم منعزلون في حياتهم ، وهذا خيارهم لا أحد يفرض عليهم هذه العزلة. لتبقى النبرة المأساوية ، سمة من سمات الوجودية ، تسيطر على مجمل أشطره الشعرية ، فضلا عن الشعور بالاغتراب، حتى وهو يعيش في وحدته ، في غرفته وفي بلده, يحيا حياته بالطريقة التي يراها تناسبه.

٥-٢- النبرة المأساوية:

عندما نطلق على الشاعر الوجودي سمة المأساوية ، فهي ليست خياراً يختاره ، وإنما انعكاسٌ لمشاعره تجاه القضايا التي تلامس إحساسه ومشاعره ، فتراه لا يستطيع الفرح ، أما الأسى الذي افترض على الواقع المعيش ، بعد الحروب العالمية التي عاشها المجتمع العربي ولدى الماغوط ، نجد ذلك في قوله دفي ديوانه (حزن في ضوء القمر):

أُحِبُّ الْمَطرَ وأَنِيْنَ الأَمْوَاجِ الْبَعِيْدَةِ
مِنْ أَعْمَاقِ النَّوْمِ أَسْتَيْقِظُ
لِأُفَكّر بامْرَأةٍ رَأَيْتُهَا ذَاتَ يَوْمْ
لِأُعَاقِرَ الخَمْرَة وَأَقْرِضَ الشّعْرَ
قُلْ لحبيبَتِي لَيْلَى
إنَّنِي مَرِيْضٌ وَمُشْتَاقٌ إلَيْهَا(١١)

وهو في محبته للمطر ، ومحبته للموج وما يصدر عنه في الأمواج البعيدة , لينتقل إلى ما فعله في يومه ، فقد استيقظ من نومه ، وفي خيالاته صورٌ شتّى ، ما بين شهواته وحبه لمحبوبته ، فهو الإنسان الذي يعيش في عصره الحالي ، لا يرسم حالةً مثاليّة ، لما ينبغي أن يكون عليه كشاعرٍ، أو مثقفٍ ،أو عاشقٌ لمحبوبةٍ بعيدةٌ عنه ، إذ نراه أطلق لنفسه عنان البوح عن كل ما يجول في خاطره ، وهذا ما يطلق عليه: الحرية في التعبير ,فأبدع جمله الشعرية ولم يصنعها، خلقها ولم يستحضرها.

في جملة المواضيع التي عبر عن كلّ منها , بشطر أو اثنين أو ثلاثة ، تنقّل من أحدها إلى الآخر ، كما في الأحاديث اليومية ، فحينما تكون في موقف المليء بالمشاعر والأفكار ويُفتح لك مجال الكلام عن ذاتك , فإن أفكاراً كثيرة تتراكضُ لتصف فيها ما تشعر وتحس به، فآلاف الكلمات تخرج من فمك ، تريد البوح الصادق عن نفسك، فأنت كإنسان في داخلك ما تريد البوح به ، لعلّك تجد من يسمعك، وهذا ما لم نلمحه في الشعر العربي التقليدي، الذي يُسهب في الحديث الموزون عن أحد المواضيع فيعطيها حقها ، ثم ينتقل إلى غيره من المواضيع ، فيشبعنا وصفاً وتحليلاً لثنايا موقفه ،ورأيه ووصف من حوله ، في حين أن الماغوط أدلى بدلوه ، وعبّر عمّا يجول في ذاته هو فقط، لم يتحدّث بلسان غيره.

فالنبرة المأساوية التي يتحدث بها الماغوط ، والتي تتجلى في كل أشطره الشعرية ،تشكل أحد ملامح الوجودية البارزة في شعره ، بالإضافة إلى كونه وحيداً متوحّداً مع ذاته.

٥-٣- التوحّد بالوجدان:

الشاعر الوجودي يعيش في انسجام كامل مع ذاته ، لا نجد لديه أصدقاءً أو أهلاً أو أحبّة ، يشاركونه مشاعره ووجدانه ، فنجده ينظم الشاعر وقد جعل من الجمادات التي حوله ، تشاركه مشاعره وأحاسيسه ، وهذا ما يظهر لدينا عند الماغوط في شعره الآتي بعنوان اليتيم:

آهٍ

الْحُلُمْ...

الَحُلُمْ...

عَرَبَتِي الذّهبيَّةُ الصُلْبَةْ

تَحَطَّمَتْ ، وَتَفَرَّقَ شَمْلُ عَجَلَاتِهَا كَالْغَجَرِ

فِي كُلِّ مَكَانٍ

حَلِمْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِالرَّبِيْع

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَطْتُ

كَانَتِ الزّهُورُ تُغطِّي وِسَادَتِي(١٢)

في قصيدة الماغوط هذه ، عندما نقف أمام العنوان ، فإننا نتوقع أن نشهد حالة يتمٍ حقيقيٍّ ، فالبكاء والنحيب على غياب أمّ وأبٍ ، وما يتبع ذلك من تصوير لحالة اليتيم ، التي يعرفها الجميع ، حيث يبدأ قصيدته بالتأوّه ، ثم ينقلنا إلى حلم ذلك اليتيم الذي تحطّمت فيه عربته القوية ، وتشتتّ أجزاؤها في كلّ الأنحاء ,كما يحصل مع

الغجر الذين يجوبون البلاد بحثاً عن رزقهم، هذا الحلم ان في أيامٍ ربيعيةٍ ، وبعد أن أفاق من حلمه ,كان الربيع قد أرسل زهوره , لتنتشر في كلّ مكان أريجاً ، وعبقاً ساد الأمكنة حتى غرفة نومه.

المأساوية وما يرافقها من آلام وأحزان ، يعاني منها الماغوط ، تبقى مصاحبة لأبياته في فضفضته عما يشعر به ، من مشاعر القهر التي يشعر بها ، فيوجه الأنظار نحو الواقع ، يملأه شعور الوجد والعزلة ، التي تبعده عن كل المحيطين به ، مع احتفاظه بما يتولد لديه من أحاسيس تجاههم ، يحاول من خلالها رسم محيطٍ يناسب أحزانه وتطلعاته ، لتشكل أبرز خصائص الوجودية التي تجلت في أبياته.

٥-٤- الاغتراب:

يعيش الشاعر الوجودي حياته ، وهو يشعر بالغربة حتى في وطنه ، فتراه دائم الحديث عن الغربة والهجرة ، يريد أن يرحل ، لعلّه يجد في بلد آخر ما يبحث عنه من راحة ، وأمان واطمئنان ، فهو مخنوق بأحلامه ، ولا مكان لتحقيقها حيث يعيش ، وهذا ما نلمسه عند الماغوط ، إذ يقول في قصيدة تحمل عنوان (المسافر):

بِلَا أَمَلٍ

سَأُوَدِّعُ أَشْيَائِي الْحَزِيْنَةَ في لَيْلَةٍ مَا

بُقَعُ الحِبْرِ

وَآثَارُ الخَمْرَةِ الْبَارِدَةِ عَلَى المُشَمَّعِ اللَّزِجِ

وَالنَّامُوْسُ الَّذِي يُمُصُّ دَمِي

هِيَ أَشْيَائِي الْحَزِيْنَة.

سَأَرْحَلُ عَنْهَا بَعِيْدَاً

بَعِيْدَاً(١٣)

في وصف حالة الشاعر لحظة وداعه وذهابه ، فهو يريد السفر ، يرسم لنا ما يعبر عن تلك اللحظات، فيقول إنه بلا أمل بالبقاء أو بالذهاب كالتائه في دربه، ولكنّ قلبه المليء بالحب ، لوطنه وأهله سيترك وراءه كل ما عاش معه في لحظةٍ كهذه اللحظة ، وسيشتاق إلى بقع الحبر التي انسكبت على أوراقه، وآثار كل ما شربه على غطاء طاولته ، وأياماً طويلةً ظلّ فيها وحيداً صامتاً ، بلا أنيسٍ يؤنسه هذه الأشياء الحزينة على فراقه ، سيتركها ويرحل بعيداً جداً.

نلحظ كيف أن الشاعر الماغوط ، يصبغ كل أبياته الشعرية بصبغة الحزن ، وهو ما يجب أن يكون عليه في لحظة الوداع التي قد اقتربت ، ولكن ماذا يخلف وراءه لم يتحدث عن الأهل والأصحاب والعائلة ، لم يتحدث عن المحبوبة وغير ذلك. بل يستذكر كل تفاصيل غرفته التي يعيش فيها هو , يودّع من كان معه طوال الوقت، يودع من شاركه لحظات وجوده في هذه الحياة. وهذا المكان، فلا ذكر لأنس أو حيوان، فقد أنشأ في وحدته , علاقته مع هذه الأشياء الموجودة برفقته, لم يعتد على غيرها .

فبقع الحبر، وبقايا المآكل والمشارب التي حولت غطاء طاولته إلى غطاءٍ لزج، وحتى حشرة البق التي تمتص من دمه في الليل ، كان ذكرها فهو إذ ينطلق من أشياء موجودةً حوله، في رسم مشهد الوداع ، لا يبحث عن مشاركة الآخرين شعوره ، أو مشاعرهم حزنه وفرحه خاصٌّ به ، يتحدّث عنه ويبثّه لقارئه.

في نظرته الفلسفية لواقعه ، نجده بلا أمل يعيشه له أو فيه, ينزع إلى الاغتراب بنبرة مأساوية ، لا تفارق مفرداته ولغته الشعرية, وطريقة حياته التي يعيشها ، فهو يريد الذهاب إلى البعيد البعيد ، إذ كررها مرتين ، ليدلّ على رغبتها بالاغتراب.

٥-٥- الفضفضة:

أمام الإحساس المرهف ، الذي يحمله الشاعر الوجودي عبر تمثله معاناة مجتمعه الذي يعيش فيه ، والكبت الذي يعيشه ، فلا يقدر على التعبير أمام الآخرين ، يلجأ إلى أبياته فيفضفض عما يجول في خاطره من أفكار ، في أبياته الشعرية . والماغوط اختار هذا الأسلوب في شعره ، إذ يقول في قصيدة تحمل عنوان (القتل):

الطَّائرُ الَّذيْ يُغنّي يُزجُّ في المَطابِخْ

السَّاقيَةُ الَّتي تَضْحَكُ بِغَزَارَة

يُربَّى فيهَا الدّودُ، تَتَكَاثَرُ فيهَا الجَرَاثيْمُ

كَانَ الدّودُ يَغْمُرُ المدَارِسَ وَالمُسْتَنْقَعَاتِ

خيْطانٌ رفيْعَةٌ مِنَ التّرابِ والدّمِ

تتَسلَّقُ مِنَصَّاتِ العبوديَّةِ المُستديْرَة

تَأْكُلُ الشَّايَ وَرَبْطَاتِ العُنُقْ وَحديْدَ المَزَاليجِ[١٤]

إن من سخرية القدر ، أنّ الطائر الذي يرتفع صوته ، ينتهي به الأمر في المطبخ فيأكله صاحبه، وكذلك الساقية التي تسير بها المياه بغزارة وقوة ، ينتهي بها الأمر راكدةً كالمستنقع ، يتكاثر فيها الدود والجراثيم، حال المدارس كحال المستنقعات يغمرها الدود ، وخيطان تسود جدرانها من التراب والدم، لقد انتشر الدود في كل مكان ، فلقد تسلّقت منصات العبودية، وهي الآن بين الأغنياء ، حيث شرب الشاي وربطات العنق ، وأبواب القصور.

في هذه الأبيات نشهد كثرة الكنايات التي يستخدمها الشاعر، فقوله الطائر الذي يغني ينتهي بالمطبخ ، كناية عن كتم الأصوات التي تنادي بما لا يتماشى مع ريح العصر

، الذي ساد في أوساط القرن الماضي، فكلّ ما كان يبشر بالخير ينتهي بسرعة ، حتى الساقية وحكايتها كناية عن أن منابع الخير قد جفّت ، وساد الجفاف أروقة البلاد، حتى صار في دور التعليم ، وسيطرت مجالس العبودية وبيوت الأغنياء ، وحفلات المترفين الذين يأكلون خبز الفقراء كالدود ، فلم يعد هناك قمح وهو كناية عن موائد الجياع والفقراء ، التي التهمها السادة لإشباع بطونهم، على حساب المساكين.

وهنا نجد الشاعر الساخر ،كيف رسم واقعه الذي يعيشه من ناحية أخرى ، عبر الكناية فقد جعل شراهة الأغنياء التي تأكل خبز الفقراء فلا تشبع ، فتبث الجهل عبر فساد المدارس ونهب الخيرات عبر جفاف السواقي ، ثم يشربون الشاي إشارة إلى امتلاء بطون السادة ، ويموت القمح إشارة إلى بطون الجياع الفارغة، كل هذا تصويرٌ لمعاناة الناس ، ومحاربة الاستغلال الذي يُنهك البلاد فيسود الجشع والطمع ، على حساب أولئك الذين لا يجدون طعاما ً، وفي هذا انغماسٌ في تفاصيل الواقع ، والبوح بأوجاعٍ يعيشها الشاعر، ترتسم صورته أمام عينيه ، فتنساب عبر أحاسيسه الداخلية ,كلماتٍ تترتب على أوراقه بهذه الصورة، غير آبهٍ بما يرسمه إن كان أدبياً يعجب الكتّاب والأدباء أم لا، فهو لا يسعى لإبراز بلاغته الشعرية ، وإنما يسعى لتسطير جروحه وآلامه ، لعلّه يرتاح من شدّة ما يراه من حالٍ تعتري أناسه , فيفضفض عمّا يشعر به , ويرتسم في خاطره.

يصور الواقع الذي يحيط به , بما يراه ويحسه منطلقاً من محاولته الفضفضة ، عما يعتمر في داخله من إحساس عالٍ بالظلم والمأساة ، تصبغه وأبياته بالحزن ، الذي يدفعه إلى العزلة والابتعاد عن الآخرين.

٥-٦- التوجيه:

الشاعر الوجودي في محاولته تمثل قضايا مجتمعه ، يريد أن يوجّه الأنظار نحو أمر ما ، أو نحو الحل الذي يناسب هذا الأمر ، فنراه في شعره يعتمد هذا الأسلوب ، والماغوط يلجأ إلى هذه السمة ، فكل شيءٍ حوله يتغير حتى نهر بردى إذ يقول:

بَرَدَى الَّذي كَانَ يَنْسَابُ كَسَهْلٍ مِنَ الزَّنْبقِ البلّوريّ

لَمْ يَعُدْ يَضْحَكُ كَمَا كَانَ،

لمْ أَعُدْ أسْمَعُ بَائِعَ الصّحُفِ الشّاب يُنادِي

عِنْدَ مَوَاقِفِ البَاصَاتِ،

الحريّةُ مَنْقُوشَةٌ عَلَى الظّهْرِ

واللِّجامُ مَليءٌ بِالحُمُوضَةِ(١٥)

يرسم الشاعر صورة لكل ما يعيشه, وكيف قد تغيرت الحال ،فحتى بردى ذلك النهر الذي يعشقه بمياهه الصافية المنسابة عبر مدينته ، لم يعد كما كان في سابق عهده، فالشاعر قد ألبس هذا النهر حالته البائسة الحزينة، كذلك بائع الصحف الذي كان ينادي في شوارع مدينته ، لم يعد يراه في الشارع أو موقف الباصات، لقد أصبحت الحرية وراء طلّابها وأمامهم ما يكتم الأصوات، ويخرسها بألم وجراح.

لتستمر النبرة المأساوية ، في تجليها عبر أبياته المغلفة بطابع الوجودية ، والتي تعكس حزن الشاعر، فهو لم يعد يستمع لبائع الصحف، واللجام موجود على من يريد التحدث, أمام هذه القضية ، نراه يوجه الرأي العام نحوها ، وهو إذ يكني بها عمّا يريده ، من كبت للأصوات التي تتكلم بحرية ، إلا أنّه يعلن كم هو قاسٍ أن تلجم أفواه الناس المحبين للحرية.

٥-٧- التساؤل:

يلجأ الشاعر الوجودي على أساليب متنوعة في نظم أبياته ، ومنها يختار أسلوب الاستفهام، فهو يثير أسئلة لا يعدم جوابها، وإنما يوجه السؤال إلى الآخرين ، وفي سؤاله إثارة للمشاعر ، واستكمال صورةٍ يرسمها . و شاعرنا الماغوط حين يناجي وطنه ، نجده يقول:

أَمْضِي بَاكِيًا يَا وَطنِي
أَيْنَ السّفُنُ المُعَبَّأةُ بالتَّبْغِ والسّيُوفِ
تَحْتَ أَظَافِرِيْ العِطْرِيَّة
يَقْبَعُ مَجْدُكَ الطَّاعِنُ في السنّ
لَنْ تَلْتَقِيْ عُيُونُنَا بَعْدَ الْآن
لَقَدْ أَنْشَدْتُكَ مَا فيْهِ الكِفَايَة(١٦)

يرسم الشاعر مشهد وداعه لوطنه، مسائلاً عن السفن التي تحمل ما يريده لسفره من مؤونة ؟ فقد أصبح وطنه عجوزاً في عيون أطفاله, فدقات قلب الوطن قد ضعفت ورقّت ، فاليوم حان الوداع ، وعيون المودّعين لن تلتقي بعد اليوم، فالشاعر قد أخبر الوطن بكل ما يريد أن يخبره به ، وفي رحيله اليوم سيبقى يزوره كغيمةٍ تحمل الخير بلا وطنٍ لها.

الهجرة عن الوطن في شطره :(أمضي باكياً ياوطني) , يعدّها المتلقي فاتحة لسرد الموقف الاعتيادي للشاعر ،الذي يترك أهله ووطنه وترابه ، فيريد أن يصف صورتهم قبل رحيله ، ولكن الشاعر لم يتحدث عن ذلك ، بل جعل العلاقة مختصرة بينه وبين وطنه، لم يودّع أحداً آخر معه، بل ودّعه وحده فقال : (لن تلتقي عيوننا بعد الآن)،

ولكنه يعده بزيارته, فالشاعر وذاته من جهة والوطن من جهة أخرى . تعلقه به واضحٌ ، وهو عند الوداع لا يودّع أحداً آخر معه, فانسجام الشاعر الوجودي مع ذاته، يصل إلى مرحلة يتناسى فيها وجود الآخرين، فلا أهل ولا أصحاب بل وطنٌ فقط.

يثير تساؤلاتٍ لا يبحث عن أجوبتها ، معبراً عن وحدته وتوحّده مع ذاته ،في طابعٍ حزينٍ مأساوي، يسيطر على أبياته وأشطره الشعرية, هذه التساؤلات هي أحد أسباب الرحيل ،التي لا يصرح بها وإنما يلجأ إلى التلميح عبر التساؤل.

٥-٨- اتخاذ القرار وامتلاك الإرادة:

الشاعر الوجودي، لا يخاف من أن يتخذ قراره بالتخلي عن كل ما حوله ، واللجوء إلى مكان جديد، رغم أنّه قد لا يشكل في النهاية المخرج الصحيح لحالته ، ولكنه يتخذ قراره بما يمتلكه من إرادة, والماغوط مع والده ، يمتلك الشجاعة لاتخاذ قراره وإخباره به فيقول:

فأعطني طفولتي
وضحكاتي القديمة على شجرةِ الكرز
وصندلي المعلَّقَ في عريشة العنب
لأعطيك دموعي وحبيبتي وأشعاري
لأسافرَ يا أبي(١٧) .

يخاطب أباه بحالته التي وصل إليها ، ليطلب منه أن يعيد براءته وضحكاته أيام كان طفلاً، وتلك الضحكات التي كانت ترتسم على وجوههم تحت أشجار الكرز، وتحت عرائش العنب ، علّق حذاءه الصغير، يطالبه أن يعيدها إليه، ويأخذ حالته التي يعيشها اليوم ,حيث الدموع والحب والأشعار ، ثم يعلن عن رغبته في النهاية وهي السفر.

في هذه الأبيات: نفهم أن السفر الذي يريده الشاعر ، إنما هو مغادرة الواقع الذي يعيشه , فيهرب منه نحو ماضيه حيث الطفولة البريئة ، والمليئة بالفرح والسرور، لقد سئم حياته التي يعيشها برتابتها ، و ما تحتويه من أشعار ،وعشق وحزن وكآبة وملل، يريد أن يستبدلها بتلك التي مضت لذلك قرر السفر.

وفي التفاصيل التي ذكرها الشاعر الماغوط، عن طفولته وحاضره ، نجده لم ينشئ صوراً خيالية مبتدعة ، بل عمد إلى رمز ما هو موجود حقيقةً ، ففي طفولته أشجار الكرز ، وضحكات الأطفال من حولها ، وتحت عرائش العنب، ثم الآن يخبرنا عن حبيبته ، وأشعاره وكثرة نومه نجد كيف أنَّ أبياته جميعها تنطلق من واقعٍ معاشٍ موجود ، ينظر إليه أو شاهده ولا زال يقبع في ذاكرته بكل تفاصيله، فجعل من أشعاره مكاناً لرسم موجوداته ومشاعره , وإحساسه بما عاشه، وليس بما يتخيله أو يتراءى له أنّه عاشه.

فالماغوط يعيش حياته في أبياته على هواه ، وفق ما يحب ويرتضي, ويسعى لصناعة محيطه عبر شعره ، بما يناسب توحّده مع ذاته ، ليبقى محافظاً على نبرته المأساوية ، والحزن الذي يصبغ به أبياته ومفرداته ، متخذاً قرارات تناسب حالته الشعورية ، وفي هذا تجلٍّ واضح للوجودية في خصائصها وملامحها.

٥-٩- الموت قادم ولا بد من الاستعداد له:

فالشاعر الوجودي ، لا يشعر بالأمان على روحه سواء بسبب ما يتفوه به من كلمات ، أو بسبب يأسه من حياته التي يعيشها ، والتي يغدو الموت أحد الوسائل الناجعة للتخلص منها . والماغوط خير من عبر عن ذلك في شعره ، فيقول مودعاً:

وَدَاعًا أيّتُهَا الصَّفَحَاتُ أيُّهَا اللَّيل

أيَّتُهَا الشَّبَابيْكُ الأُرْجُوانيّة

انْصُبُوا مِشْنَقَتِي عَاليَةْ عِنْدَ الغُرُوبِ

عِنْدَمَا يَكونُ قَلْبِي هَادِئًاً كَالحَمَامَه

أَوَدُّ أَنْ أمُوتَ مُلَطَّخًا

وَعَيْنَايَ مَليئَتَانِ بِالدّمُوْع

فَإِنَّني مَلِيءٌ بِالحُرُوفِ، وَالعَنَاوينِ الدَّاميَة[١٨]

يودّع في وطنه صفحات عمره التي عاشها ، والتي كتبها في ليله الذي كان يقضيه فيه، يودّع شبابيك البيوت الملونة عند الغروب، هذا الوقت الساحر الذي اختار أن تُنصب مشنقته فيه ، حيث السكينة والهدوء فقلبه مليء بالسلام كحمامة، لكنّه يريد أن يموت حزيناً ، ودمه قد سال منه ، ليخنق فيه ما يحمله من هموم وآلام، ليخنق ما يعتصر في صدره من صورٍ وهموم ، فيميتها قبله برفعها إلى عنقه ثم شنقها.

في مشهد الوداع الذي يرسمه الماغوط : نجد صوراً متعددة تنطلق من داخله الشاعري ، وما يشعر به ، فهو يحس أن وطنه صار عجوزاً في نظر أطفاله، وأنه يريد أن يغادره لأنه لم يبخل عليه بما يجول في صدره ، فقد أخبره بكل شيء، ولكنه سيبقى قريبا منه ، ثم يريد أن تنصب مشنقته في وقت الغروب لأنه يريد أن يخنق ما بقي في داخله من حرف وعناوين دامية، هذه مشاعر الإنسان الشاعر ، الذي يحب وطنه ويريد أن يفعل له كل ما يستطيع ، ليستعيد شبابه فيصطنع لنا موقف الوداع ويخبرنا بكل ذلك.

وفي مشهد الوداع لا حديث عن المشاعر فقط ، بل عن العقل والقلب والأفكار ، والأطفال والموت والورود والمشانق والغروب و، كلها صور وجودية ترتسم أمام أعين

القارئين ، لهذه الأبيات وفق ما يريده الشاعر أن يرسمه ، حيث نلحظ كيف أن طابع الحزن مرتسم في كل أبياته التي أوردناها حتى الآن ، وهو حزن شخصيٌّ نابعٌ من انسجامه مع ذاته الشاعرة، ومن أعماق الشاعر . لا يعمّم هذا الموقف على الآخرين ، ولكنه انعكاسٌ لما يراه في واقعه الموجود فيه ، ويحاول أن يعبر عنه عبر أسطره الشعرية.

فالماغوط بصبغته الحزينة المأساوية ، يدرك ما يعتمر في وجدانه من أفكار وكلمات، لم يبح بها ، ولكنه يحتفظ بها لنفسه ، لأنها عناوين دامية، يطلب أن يُشنق فتموت معه، حتى يرقد بسلام كما الحمامة, لأنه يعلم أن الموت لا بدّ قادم ولا ضير به.

وفي قصيدة تحمل عنوان (القتل)يقول:

ضَعْ قَدَمَكَ الحجَرِيَّةَ عَلَى قَلْبِي يَا سيّدِيْ

الَجَريمَةُ تَضْرِبُ بَابَ الْقَفَصْ

وَالخَوْفُ يَصْدَحُ كَالكَرَوَانِ

هَا هِيَ عَرَبَةُ الطَّاغيَةِ تَدْفَعُهَا الرّيَاحُ

وَهَا نَحْنُ نَتَقدَّمُ كَالسَّيْفِ الَّذي يَخْتَرِقُ الجُمْجُمَةَ[١٩]

في هذه الأبيات يضع الشاعر نفسه مكان الضحية ، ويطلب من قاتلها أن يدعسها كما يفعل المجرمون ، فشاعرنا دائم الحزن والكآبة ، والآن يرسم لنا مشهد القاتل الذي تطلبه الضحية أن يقتلها، فالخوف والأسر موجودان ، وقد وضعت الضحية ذاتها فيهما ، ولم يبقى إلا أن يأتي القاتل، ليعلن أن عربته قادمة ، فالرياح تسير ما يشاء، والضحية تسير نحو مقتلها ، كما تسير الجمجمة للقاء السيف الذي سيودي بها.

نلاحظ كيف أن الشاعر ، يهي الأجواء للجريمة التي ستحصل، ولا نعرف من ضحيتها , ولكنه هيئ القفص والضحية ، بل أقنع الضحية أن تطلب القتل، ثم رسم معالم الجريمة عبر السيف الذي يخترق الجمجمة، وعبر الجراد الذي يأكل كل ما يجده من خيرات، لينادي على كل من لم يسمع ، وإن كان مكانه بعيداً، لقد اقتربت ساعة النهاية هكذا يعلنها.

في جميع ما ذكره الشاعر ، من القفص ووضع القدم على القلب، والكروان، وتقدم السيف، والجراد المتناسل، والسهول المنحدرة، والراهبة، والصولجان، والليل كل هذه من أركان أشطره الشعرية حقائق وجودية لا خيال فيها ، ولا أسطورة اعتمدها الشاعر في نسج أبياته ، ورسم معانيه ليعبر عن حالة الإحباط التي تسود في كيانه، واستشرافه نهاية الحالة التي يعيشها بالقتل ، فهو بلا أمل في حياته.

فهو يدرك بطابعه الوجودي، أنَّ الموت قادم لا محالة، وهو مستعد له, فهو يملك الإرادة التي تسمح له بذلك, فنراه يتخذ القرار بالتعبير عن كل ما يجول في خلده ، غير آبه بما يتبع ذلك من مأساة قد تنجم عنه, فيقوم بفعل ما يريد ، وما يشاء ، حيث الخوف ومظاهر الظلم التي يراها على من حوله ، مغلّفاً أبياته بطابع المأساة والحزن والتعب.

٥-١٠- التمرد على الواقع:

في الوجودية ، حين ينطلق الشاعر من إحساسه في فهم ظلامية واقعه ، نراه يعلن ثورته على هذا الواقع ، متخذاً من ذاته أداة في الوقوف بوجهه ، ومحاولة تغييره. والماغوط من غرفته، يعلن ثورته على واقعه فيقول:

عَبْرَ النَّافِذَةِ الْمُحَطَّمَةِ
وَالزّقَاقُ المُتَلوّي كَحَبْلٍ مِنْ جُثَثِ الْعَبيْدِ.
سَأَرْحَلُ عَنْهُمْ جَميْعَاً بِلَا رَأْفَةٍ
وَفِي أَعْمَاقِي أَحمْلُ لَكَ ثَورَةً طَاغِيَةً يَا أَبي
فيْهَا شَعْبٌ يُنَاضِلُ بِالتُّرَابِ
وَالحْجَارَةِ وَالظّمَأ
وَعِدَّةَ مَرَايَا كئيْبَةٍ
تَعْكِسُ لَيْلَاً طَويْلَاً
وَشِفَاهَاً قَارِسَةً عَمْيَاءَ
تَأْكُلُ الحَصَى والتبْنَ وَالمَوْتَ(٢٠).

وهو لا يزال خلف نافذته، حيث الشوارع المتضيقة المتلوّية ،كأّنها حبالٌ وفيها يمشي العبيد مكبّلون بها فلا يبتعدون عن حدودها، هؤلاء كلهم سيتركهم ويرحل، ثم يلتفت إلى أبيه ليرسم من نفسه رجلاً ثورياً, يرغب بتغيير واقعه، فيعلنها شعباً يريد الانطلاق ، لكن لا قوة لديه سوى التراب العطش للماء ، والحجارة وصورٌ مليئةٌ بالكآبة ، عاشت ليلاً طويلاً وشفاهاً ، ذبلت نسيت كيف تتكلم تأكل من الحجارة ، وتنتظر الموت.
صورة الناس في مدينته ، النساء والرجال والناس الذين يراهم كالعبيد، يسيرون في الأزقة في مسارٍ محدد لا يبتعدون عنه، فتتأجج في داخله نار الثورة ، التي ترفض هذا الواقع وتريد أن تقهره ، ولكن كيف وما في يده حيلة ، فلا جدوى من ذلك سوى الرحيل.

حالة الشاعر والناس الذين سيتركهم خلفه ويغادر، تعبر عن مشاهد يراها بعينه ، تسير من حوله ومن أمام نافذته، هو لا يتخيلها ولا يقرأها ، بل يشعرها ويحسها في جباههم وعيونهم ، ومسيرتهم اليومية، يريد أن يصنع شيئاً يعيد لوطنه الحياة والشباب ، ولكن لا قدرة لديه ليجد أن السفر هو الحل الوحيد لحالته.

وهكذا نلاحظ كيف أن الشاعر لا يزال يعيش واقعه الحاضر أمام عنينيه ، ويرسمه بكلماته بعيداً عن الخيال والبلاغة العربية , بل يرسم بإحساس الشاعر ما يعيشه ، وتجسّد أمامه ، فيتمثّل قضاياه وقضايا أناسه ومدينته ، ويسعى إلى بثّ الروح من جديد في أهل مدينته، لينقذهم من واقعهم المرير، فينشر الحياة من جديد ، فهو لا يصنع من إحساسه واقعاً خيالياً، أو يرسم مستقبلاً باهراً.

فهو من خلال أبياته ، استخدم ألفاظاً تعبر عن تمرده مثل :(العبيد– محطمة – حبل – بلا رأفة – ثورة – طاغية – يناضل – الحجارة – تأكل الحصى), فهو عبر هذه الكلمات و نسج صورة واقعٍ مرير، وأعلن ثورته ، وإن كان لا يملك سوى الحجارة ، وتلك الشفاه التي لم تتلذّذ يوماً بطعم الحياة ، لكنّه أعلن ثورته وأشهد والده على ذلك.

٥–١١– القيام بالأعمال التي يريدها في الوقت الذي يريده:

فالشاعر الوجودي متفلّت من كل القيود التي يمكن أن تأسره ، أو تعيق حركته ، حتى وإن كان ذلك في شعره فقط، فهو دائم الحركة والنشاط ، لا يعترف بالقيود. والماغوط يعتنق هذه الخاصية الوجودية في شعره فيقول:

مللت اللجوء إلى التبغ

والخمر

والمهدئات

وأبراج الحظ

إنَّ سعة الخيال تمزّق أعصابي[٢١]

في هذه الكلمات نستطيع تصور جزءٍ من حياته ، التي اعتمد فيها على أمور لم يكن ليفعلها لولا أنّه يختار ما يريده بنفسه ، على أحد يفرض عليه التدخين ، أو شرب الخمر. أما المهدئات فهي كناية عن ثورته الداخلية المعتمرة في زوايا ذاته المتعبة دوماً , وكذلك لجوؤه إلى ما يخبئه الحظ ، عبر أبراج الجرائد التي قد أصابه الملل منها, فهو بخياله الواسع وحسه المرهف، قد بلغ مرحلة التعب الذي يرسمه في أبياته. وفي قصيدته(أرق الغيوم) يقول:

كنت مزارعاً ولا حقول لي

عاملاً ولا مصانع لي

رياضياً ولا فريق لي

مطرباً ولا جمهور لي[٢٢]

فالماغوط لم يغادر غرفته ، ولكنه عمل بكل هذه المهن عبر خياله الواسع ، الذي تحدث عنه دوماً ، فهو يشعر بكل هؤلاء الذين لا يدعون الحياة دون أن يقوموا بما توفره لهم من أعمال ، وهو في هذا يريد أمرين: الأول تغيير حياته الروتينية، التي لم يخفي مله من كل ما فيها، من تدخين وخمر وغيره ، ويلجأ إلى خياله الخصب ، ليجعل من كل الأعمال الأخرى سبباً آخر لليأس ، فهو إن غدا فلاحاً فلا يملك

أرضاً ليعمل بها، أو معملاً أو مصنعاً إن أراد العمل كعامل, ولا مكان لرياضيٍّ يريد أن يمارس هوايته في فريقه, حتى الغناء لا مكان له ، حيث يستمع إليه الآخرون.
وبالتالي هو يقنعنا بأنَّ حياته التي يعيشها، هي آخر ما تركته له الفرص أن يعمله ، فكل المهن والأعمال الأخرى تقف في طريقه عقبات لا يمكنه تخطيها، فيبقى على حاله وحياته.

٥-١٢- محاولة صنع المحيط الذي يريده:

من ديوان (حزن في ضوء القمر) نجده يقول:

أَيُّهَا الرَّبِيْعُ المُقْبِلُ مِنْ عَيْنَيْهَا
أَيُّهَا الكنَاريُّ المسافِرُ في ضَوْءِ الْقَمَرْ
خُذْنِيْ إلَيْهَا
قَصيْدَةَ غَرَامٍ أَوْ طَعْنَةَ خَنْجَرٍ
فَأَنَا مُتَشَرِّدٌ وَجَرِيْحٌ(٢٣)

المواضيع التي يطرحها الماغوط في هذه الأسطر الشّعرية هي :(الربيع القادم – شوقه إلى محبوبته – حياته اليومية – رسالة إلى حبيبته) .هذه المواضيع جميعها منبثقة من شخصية الفرد, الذي يمثلها الشاعر ,فهو يهتمّ بذاته الإنسانية في كل مقتضيات أبياته ، لم يرسم حالة العاشق الآخر ،بل تحدّث عن ذاته وما يحيط به.
فعندما أخبر القارئ أن الربيع قادم: اختار منه ما يحبه وهو طير الكناري ليأخذه إلى محبوبته ، فهو في حالته تائهٌ في دروب حياته بعيدٌ عنها، مجروحُ الفؤاد، ليجد في داخله ما يخبرنا به, لينهي الشاعر حديثه عن الربيع ،هذا الفصل الذي أخذ من الشعراء التقليدين، الكثير من الأبيات الشعرية والصور البديعة، التي تصف جماله وجمال مكوناته, لينتقل الماغوط مسرعاً إلى كونه متشرّد وجريح, فكيف يمكن لهذا الإنسان

أن يشعر بجمال الربيع والطبيعة، وفي داخله كل هذا الألم؟ وبالتالي ألغى كل ما يحيط به من جمال ، ويتجه إلى ذاته فيحقق ما يخصها.

فهو يريد للربيع أن يأتي ، ولطير الكناري أن يأخذه إلى حبيبته حين يأتي في الربيع القادم، لعلّه يجد في قربها واقعاً يعيش فيه ، فيهنأ بخيره وقرب حبيبته، ويغادر الأسى والحزن والتشرّد الذي يعيشه.

٦- النتائج:

١- في قصائد الماغوط عبر دواوينه الثلاثة مواضيع مختلفة ناقشها وأسهب في طرحها عبر شعره العمودي البعيد عن الوزن والقافية.

٢- في مواضيع الماغوط جميعها وجوديةٌ بحتة فهو يطرح قضايا يومية يعيشها هو ومجتمعه في الوقت ذاته (السفر – الهجرة – الوحدة – الغربة – الضيق – الأحلام – الملل – الحزن – الكآبة وغيرها هو لا يبحث عن هموم الآخرين البعيدين عنه بل ملتصق بمجتمعه ويحاكيه من خلال شعره.

٣- التشاؤم والكآبة والحزن سمةٌ لا تكاد تفارق أبيات الماغوط في مختلف موضوعاته وهذا لا يتصل بالوجودية فقط وإنما للتفاؤل وجوده فيها ولكن الماغوط شخصٌ عشق الحزن وأخبر القارئ أنّه صديقٌ قديمٌ له.

٤- لم يلتفت الشاعر لمواضيع أخرى قد تلفت نظر الشاعر في الطبيعة أو الكون أو عالم الخيال بل كان في كل صوره واقعياً يرسم من واقعه ما يريد.

٥- إحساس الماغوط بما يجري حوله واضح تماماً فبرهافة إحساسه استنبط هموم الناس بمختلف مستوياتهم وسطرها في أبياته بعد أن امتلك القدرة على العيش معها والإحساس بها.

٦- برز الماغوط وجودياً في عزلته ونبرته المأساوية التي تسيطر على أبياته, وكذلك في اغترابه وانسجامه الذاتي, واتخاذه من الإنسان الحر سبيلاً للعيش على هواه واختيار ما يناسبه ويتناسب مع هواه الداخلي وشعوره بحثاً عن أمانه الذاتي وهروباً من واقعٍ يعيشه.

الهوامش

(١) – الندوي، محمد، الاتجاهات الوجودية في الشعر العربي، منشورات جامعية, ٢٠٠٧م، ص٩

(٢) – بدوي، عبد الرحمن، الإنسانية والوجودية، دار القلم, ١٩٨٨م، ص١٣٧

(٣) – جان بول سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة عبد المنعم, ١٩٦٤م، ص٢٨٩

(٤) – جون ما كوري، ترجمة إمام إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع, ١٩٨٦, ص٨٤

(٥) – بدوي، عبد الرحمن، الإنسانية والوجودية، في الفكر العربي المعاصر، مكتبة النهضة, ١٩٥٠م، ص١٢٦

(٦) – جون ما كوري، ترجمة إمام إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع, ١٩٨٦, ص١٧

(٧) – ماكوري, الوجودية, ص٨٩

(٨) – المصدر نفسه , ص١٠٥

(٩) – الفيومي, الوجودية, ص٥٦

(١٠)– الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت, ١٩٥٩م، ص٤

(١١) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، ص٤

(١٢) الماغوط ، محمد ، الحزن ليس مهمتي ، ص ١٩٧

(١٣) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت, ١٩٥٩م، ص١٤

(١٤) الماغوط ،محمد ، حزن في ضوء القمر ، ص٤٣

(١٥) الماغوط ، محمد ، حزت في ضوء القمر ،ص١٧٥

(١٦) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت, ١٩٥٩م، ص٦

(١٧) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت, ١٩٥٩م، ص١٧

(١٨) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت, ١٩٥٩م، ص٧

(١٩) الماغوط ، محمد ، حزن في ضوء القمر ، ص٤٢

(٢٠) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، ص١٦

(٢١) – الماغوط, العاشق المتمرد, ص٧

(٢٢) – الماغوط, العاشق المتمرد, ص١٠

(٢٣) – الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت, ١٩٥٩م، ص

- **المصادر:**

١. ابن منظور، مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

٢. أبو ديب كمال، الشعرية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربي، ١٩٨٧م

٣. أدونيس الصوفية والسريالية، دار الآداب، دار الساقي، ١٩٩٢م، ص١٧٥

٤. بعلي حفناوي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، منشورات أمانة عمان، ٢٠٠٧م

٥. بدوي، عبد الرحمن، الإنسانية والوجودية، في الفكر العربي المعاصر، مكتبة النهضة، ١٩٥٠م.

٦. جان بول سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة عبد المنعم، ١٩٦٤م.

٧. جون ما كوري، ترجمة إمام إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.

٨. السامرائي إبراهيم، لغة الشعر العربي المعاصر، كتاب مهرجان المربد الشعري، بغداد، ١٩٨٩م

٩. قاسم، باسم إدريس، الشاعر الجاهلي والوجود، دراسة فلسفية ظاهرية، بيروت، مركز دراسات الوحدة، ٢٠١٤م.

١٠. كارس، جيمس، الموت والوجود، دراسة لتصورات الفناء الإنساني، ترجمة بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة مصر، ١٩٩٨م.

١١. الماغوط، محمد، ديوان حزن في ضوء القمر، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٩م.

١٢. الماغوط، محمد، ديوان الفرح ليس مهنتي، مجلة الاتحاد، دار الهدى، ٢٠٠٦م.

١٣. الماغوط، محمد، ديوان غرفة بملايين الجدران، دار مجلة شعر، ١٩٦٠م.

١٤. محمد الفيومي، الوجودية، القاهرة، جامعة الأزهر، مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٢م.

١٥. الندوي، محمد، الاتجاهات الوجودية في الشعر العربي، منشورات جامعية، ٢٠٠٧م.

١٦. ولسن كولن، المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة أنيس زكي، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٤م.

Sources
1. Ibn Lisan, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, 2010 AD.
2. Abu Deeb Kamal, Poetry, Beirut, Arab Research Foundation, 1987 AD
3. Adonis of Sufism and Surrealism, Dar Al-Adab, Darsky, 1992, p. 175.
4. Baali Hafnawi, Valuable Paths and Post-Event Orbits, Amman Municipality Publications, 2007 AD.
5. Badawi, Abdul Rahman, Humanism and Existentialism, in Contemporary Arab Thought, Al-Nahda Library, 1950 AD.
6. Jean-Paul Sartre, Existentialism is a Humanistic Philosophy, translated by Abdel Moneim, 1964 AD.
7. John McCurry, translated by Imam Imam, Existentialism, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 1986 AD.
8. Al-Samarrai Ibrahim, The Language of Contemporary Arabic Poetry, Book of the Al-Mirbid Poetry Festival, Baghdad, 1989 AD.
9. Qasim, Bassem Idris, the pre-Islamic poet and existence, a phenomenological philosophical study, Beirut, Center for Unity Studies, 2014 AD.
10. Kars, James, Death and Existence, A Study of Perceptions of Human Mortality, translated by Badr El-Deeb, Supreme Council of Culture Egypt, 1998 AD.
11. Al-Maghout, Muhammad, Poetry of Sadness in the Moonlight, Poetry Magazine Publishing House, Beirut, 1959 AD.
12. Al-Maghout, Muhammad, Diwan Al-Farah is Not My Profession, Al-Ittihad Magazine, Dar Al-Huda, 2006 AD.
13. Al-Maghout, Muhammad, the collection of a room with millions of walls, poetry magazine publishing house, 1960 AD.
14. Muhammad Al-Fayoumi, Existentialism, Cairo, Al-Azhar University, Anglo Library, 2002 AD.
15. Al-Nadawi, Muhammad, Existential Trends in Arabic Poetry, university publications, 2007 AD.
16. Wilson Cullen, The Reasonable and the Unreasonable in Modern Literature, translated by Anis Zaki, Beirut, Dar Al-Adab, 1974 AD.